تفسير سورةُ المؤمنون

من آية (1) إلى آية (11)

اللقاء الأول

سورةٌ عظيمة في كتاب الله –جل وعلا– استهلَّها الله بذكر أوصاف المؤمنين الكمَّل، وذِكر ما أعدَّ لهم من عظيم الثواب، وجزيل المآب؛ إنها "سورة المؤمنون".

مقدمات السورة

أسماء السورة: سُمِّيت هذه السُّورةُ بسورةِ (المؤمنون).

يقال: سورة المؤمنين، ويقال: سورة المؤمنون؛ فالأول على اعتبار إضافة السورة إلى المؤمنين؛ لافتتاحها بالإخبار عنهم بأنهم أفلحوا. ووردت تسميتها بمثل هذا فيما رواه مسلم عن عبد الله بن السائب، قال: (حضَرْتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يومَ الفَتحِ وصَلَّى في قِبَلِ الكَعبةِ، فخلَعَ نَعلَيهِ، فوضَعَهما عن يَسارِه، ثمَّ استفتَحَ سُورَةَ المؤْمنِينَ، فلمَّا جاء ذِكرُ عيسى أو موسى أخَذَتْهُ سَعْلةٌ، فركَعَ). والثاني على حكاية لفظ (المؤمنون) الواقع أولها في قوله تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) [المؤمنون:1]، فجعل ذلك اللفظ تعريفاً للسورة. ومما جرى على الألسنة أن يسموها سورة (قد أفلح) ويسمونها أيضاً سورة الفلاح.

بيان المكي والمدني:

سورةُ (المؤمنون) مكيَّةٌ، ونقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ من المفسِّرين.

مقاصد السورة:

1- تحقيقُ الوحدانيَّةِ، وإبطالُ الشِّركِ.

2- تقريرُ النُّبُوةِ للنَّبيِّ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، والردُّ على مَن ينكرونَها مِن الكفَّارِ.

3- الدَّلالةُ على أخلاقِ أهلِ الإسلامِ.

موضوعات السورة:

مِن أهَمِّ الموضوعاتِ التي اشتَمَلت عليها السُّورةُ:

1- بيانُ صِفاتِ المؤمنِينَ، وما أعدَّه اللهُ لأصحابِ هذه الصِّفاتِ.

2- ذِكرُ أطوارِ خَلقِ الإنسانِ الدالِّ على وحدانيَّةِ اللهِ تعالى، وقُدرته على البَعثِ.

3- بيانُ بَعضِ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ في هذا الكَونِ.

4- ذِكرُ جانبٍ مِن قَصَصِ بَعضِ الأنبياءِ، ومَوقِفِ أقوامِهم منهم، وكيف كانت العاقبةُ.

5- توجيهُ الرُّسُلِ إلى أكلِ الحَلالِ الطَّيِّبِ، والمداومةِ على العَمَلِ الصَّالِحِ؛ وبيانُ وَحدةِ دينِ الأنبياءِ جَميعًا.

6- بيانُ مَوقِفِ المشرِكينَ مِن الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ، ومَصيرِهم يومَ القيامةِ، مع الرَّدِّ على شُبُهاتِهم الفاسِدةِ، وتسليةِ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بما يُثَبِّتُ قَلبَه.

7- ذِكرُ بَعضِ الأدِلَّةِ على وحدانيَّةِ اللهِ وقُدرتِه؛ كخَلقِ سَمعِهم وأبصارِهم وأفئِدتِهم، ونَشأتِهم مِن الأرضِ، وإشهادِهم على أنفُسِهم بأنَّ الخالِقَ هو اللهُ.

8- إرشادُ الرَّسولِ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أن يغُضَّ عن سوءِ مُعاملةِ المشرِكينَ، ويَدفعَها بالتي هي أحسَنُ، وأن يستعيذَ باللهِ مِن الشَّياطينِ.

9- ذِكرُ أحَدِ مَشاهِدِ يومِ القيامةِ وما يَنتظِرُ المشرِكينَ في هذا اليومِ، وحالِهم عند نُزولِ الموتِ بهم.

10- خُتِمت السُّورةُ بأمرِ اللهِ لِنَبيِّه بالتوجُّهِ إليه طلَبًا للرَّحمةِ والغُفرانِ.

🗁فضائلها وما ورد عنها من الأثر:

أخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد والترمذي والنسائي وابن المنذر والعقيلي والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل والضياء في المختار عن عمر بن الخطاب قال: كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم إذا أُنزِلَ عليه الوحيُ، سُمِعَ عندَ وَجهِه دَويٌّ كدَويِّ النَّحلِ، فأنزَلَ اللهُ يومًا، فمَكَثْنا ساعةً، فسُرِّيَ عنه، فاستقبَلَ القِبلَةَ، ورَفَعَ يَدَيهِ، وقال: اللَّهُمَّ زِدْنا ولا تَنقُصْنا، وأكْرِمْنا ولا تُهِنَّا، وأعْطِنا ولا تَحرِمْنا، وآثِرْنا ولا تُؤثِرْ علينا، وأَرْضِنا وارْضَ عنا، ثم قال: أنزَلَ اللهُ عليَّ عَشْرَ آياتٍ، مَن أقامَهُنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ ثم قرَأَ: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) حتى خَتَمَ عَشْرَ آياتٍ.[تخريج مشكاة المصابيح]

🗁وقت ومناسبة نزولها:

اسلوب السورة وموضوعها يشير إلى أنها نزلت في منتصف العهد المكّي. وبقراءة ما بين السطور نلاحظ أن هناك صراع مرير بدأ يظهر بين النبي صلى الله عليه وسلم وكفار مكّة، فقد كانوا ينكرون أنه رسول وينكرون البعث ويكذبون الوحي ويعرضون عنه ويقولون أنه مجنون وعن القرآن أساطير الأولين، إلا أن تسلّطهم على المسلمين لم يصل بعد إلى حد الاستبداد والتعذيب. ويظهر من الآيات (75-76) أن الجوع الذي أصاب قريش قد كان في ذروته حين نزول السورة والتي حصلت في منتصف فترة النبوّة.

وفي الحديث الصحيح " جاء أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ إلى رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقال: يا مُحمَّدُ أنشُدُكَ اللهَ والرَّحِمَ فقد أكَلْنا العِلْهِزَ، يعني الوَبَرَ والدَّمَ، فأنزَلَ اللهُ: (وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76)). صحيح ابن حبان

🗁علاقة السورة بما قبلها:

قال الإمام جلال الدين السيوطي: وجه اتصالها بسورة الحج: أنه لما ختمها بقوله: {وافعلوا الخير لعلكم تُفلِحون} وكان ذلك مجملاً فصّله في فاتحة هذه السورة فذكر خصال الخير التي من فعلها فقد

أفلح فقال: {قد أَفلحَ المؤمنون الذينَ هُم في صلاتِهِم خاشعون} ولما ذكر أول الحج قوله: {يا أَيُها الناس إن كنتُم في ريبٍ مِن البعثِ فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة} زاده هنا بياناً في قوله: {ولقد خَلقنا الإنسانَ مِن سُلالةٍ مِن طين ثُم جعلناهُ نطفةً في قرارٍ مكين} فكل جملة أوجِزَت هناك في القصد أطنب فيها هنا.

🗀ملخص موضوع السورة:

والسورة باعتبار ترتيب آياتها تنقسم إلى نصفين تقريباً وخاتمة، وقد استهلّت بذكر مقصدها في ثلاث كلمات {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1)}، وذلك بسبب التزامهم بسبعة أنواع من العبادات. ثم بيّنت خلق الله للإنسان على سبعة أطوار، وخلق سبع سماوات فوقه والأرض، وتسخيرهما وما بينهما لخدمة الإنسان وتحقيق مصالحه وإعانته على العبادة، ثم إرسال المرسلين بالآيات يدعون إلى الإيمان وفعل الخيرات. ثم أكملت في النصف الثاني تتحدّث عن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم وبأنه سيتكرر التكذيب والإعراض فيهم كما سبق في الأمم، حتى إذا ما حضر الموت طلبوا الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من الإيمان فلا يجابون كما يلي:

النصف الأوّل: (الآيات 1–11) بيان أنّ المؤمنين المفلحين الخالدين في الفردوس التزموا بسبعة أنواع من أصول العبادة هي: أنهم في صلاتهم خاشعون، وعن اللغو معرضون، وللزكاة فاعلون، ولفروجهم حافظون إلا على أزواجهم، ولأماناتهم وعهدهم راعون، وعلى صلواتهم محافظون. ثمّ (الآيات 12–22) بيان خلق الله الإنسان على سبعة أطوار: ابتدأت من طين، ثم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً، ثم صار إنساناً فيه روح وسمع وبصر وعقل، سويّ كامل الخلق، فلا أحد يستطيع أن يخلق كخلق الله {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)}، ثم يموت ويُبعث. وخلق الله فوقه سبع سماوات، وأنزل له الماء، وأنشأ على الأرض الجنّات، وسخّر الأنعام فيها منافع وعبرة، وعليها وعلى الفلك يحملون. ثمّ (الآيات 23–56) بأن أرسل المرسلين إلى الأمم، وكلّما جاء أمة رسولها دعاهم أن {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ}، كذّبوه وقالوا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ...}، فينتهي الأمر بأن يطلب الرسول النصر من الله {قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ}، فينصره الله ويهلكهم ويجعلهم أحاديث لمن بعدهم من الأقوام {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ}. وهذه هي قصّة ابتلاء الإنسان كاملة، جاءتهم الرسل تترى يتبع بعضهم بعضاً، كلّما دعا رسول أمته كذبوه فأهلكهم الله واستبدلهم، {وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} لمن بعدهم، يتخذونها عبرة، ويتعجبون من شنيع فعلهم مع خالقهم. إن أمة الرسل ومن آمن معهم أمة واحدة، الله ربهم ربّاهم على التقوى، لكن أتباعهم افترقوا وجعلوا دينهم الواحد أدياناً وأحزاباً ومللاً، كل ملّة فرحون بما هم عليه، ويحسبون أن الذي أُعطي لهم في الدنيا من المال والأولاد هو ثواب لهم، إنما هو استدراج وإملاء وليس إسراعاً في الخيرات، بل ويحصل بسببه هلاكهم.

النصف الثاني: (الآيات 57-77) يخصّ خاتم الأمم، وأن ما حصل في القرون الأولى سيتكرّر، وسيكون منهم مؤمنون وكافرون، فالمؤمنون يسارعون في الخيرات، وقد سبقت لهم من الله السعادة، لكن الكفار في غفلة وضلالة عن القرآن، فعذبهم الله لعلهم يستكينون أو يتضرعون إليه، إلا أنهم كفروا واتهموا رسولهم بالجنون، حتى إذا فتح الله عليهم من العذاب إذا هم نادمون في حين لا ينفعهم الندم. (الآيات 78-98) الله رحيم بعباده جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة، وفطرهم ودلّهم على آياته، حتى علموا أن له الأرض ومن فيها وأنه رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، بيده ملكوت كل شيء، لكنهم قالوا مثل ما قال الأولون، أي كذبوا الرسل وأنكروا البعث وأشركوا بربهم، فيأمر نبيه ومن معه من المؤمنين بأن يصبروا على أذاهم لأن الله عليم بهم، وأن يستعينوا به على كيد الشياطين ووسوساتهم. (الآيات 99-114) فإذا جاءت ساعة الحقيقة فأشرف الكافر على الموت قال رب ارجعون إلى الدنيا لعلي أستدرك ما ضيَّعْتُ من الإيمان والطاعة، فلا يجاب طلبه فلو رُدَّ إلى الدنيا لعاد إلى ما نُهي عنه، ولو صبر الأشقياء على طاعة الله وقتاً قليلاً لفازوا بالجنّة خالدين كما فاز المؤمنون.

الخاتمة: (الآيات 115-118) تلخّص مقصد السورة وهو أن الله لم يخلقهم عبثاً بل اختباراً لهم على عبادته لله وحده {فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)}، وأنهم إليه راجعون فيحاسبهم على إيمانهم، وأنه لا يفلح الكافرون؛ وهي خلاصة القول الذي بدأت به السورة بأنه قد أفلح المؤمنون، فختمت بأن الكافرين الذين لا يؤمنون لا يفلحون، وأمرت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالاستغفار وطلب الرحمة من خير الراحمين.

سُورة المؤمنون، تُعلّقُ الأبصارَ بالآخرة، وتُطمئنُ المؤمنين إلى مُستقبلهم الطيّب، أما الكافِرُون فالوَيل لهم.

قال الزمخشري: جعَلَ اللهُ تعالى فاتحةَ السُّورةِ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، وأَوردَ في خاتمتِها: إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ؛ فشَتَّانَ ما بيْنَ الفاتحةِ والخاتمةِ.

بدأَها الله بذِكر الفلاح، وختَمَها بذِكر الفلاح. بدأَها الله بذِكر فلاحِ المؤمنين فقال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) [المؤمنون: 1]، وختَمَها الله بنفي الفلاح عن الكافِرين فقال: (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون: 117]، وما بين مُفتَتَحِها والخِتام ذَكَرَ الله صِفات المفلِحين، وقصصَ الأنبياء مع أقوامِهم؛ فمَن آمنَ فقد أفلحَ ونجَا.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿1﴾

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) أي: قد فاز وظفِر بخَيرِ الدُّنيا والآخرةِ المؤمِنونَ الذين آمَنوا بكُلِّ ما وجبَ عليهم الإيمانُ به. موسوعة التفسير

والفلاح هو السعادة في الدارين:

• السعادة في الدنيا: أن نعيش على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ.

• والسعادة في الآخرة وهي: أن ننعم بجنة رب العالمين، ولذة النظر إلى وجه رب العالمين.

قال السعدي: هذا تنويةٌ مِن اللهِ تعالى بذِكرِ عبادِه المؤمنين، وذِكرِ فلاحِهم وسعادتِهم، وبأيِّ شيءٍ وصَلوا إلى ذلك، وفي ضِمنِ ذلك الحثُّ على الاتِّصافِ بصفاتِهم، والتَّرغيبُ فيها، فَلْيَزِنِ العبدُ نفْسَه وغيرَه على هذه الآياتِ، يَعرِفْ بذلك ما معه، وما مع غيرِه من الإيمانِ، زيادةً ونقصًا، كثرةً وقِلَّةً.

﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ﴿2﴾

(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) أي: الذينَ مِن صِفاتِهم أنَّهم في صَلاتِهم خاضِعونَ، مُتذَلِّلونَ لله ساكِنونَ، مُتدَبِّرونَ لِما يقولونَ فيها. موسوعة التفسير

الخشوع: عبارة عن حضور القلب وسكون الجوارح لله رب العالمين، قلب حاضر يعي ما يقول؛ لأنه (ليس للعبد من صلاته إلا ما عَقَلَ منها) وهذا لا أصل له مرفوعاً، وإنما صح موقوفاً عن بعض السلف، لكنه معناه صحيح كما قال النبي -ﷺ-: "إنَّ الرَّجلَ لينصرِفُ ، وما كُتِبَ لَه إلَّا عُشرُ صلاتِهِ تُسعُها ثُمنُها سُبعُها سُدسُها خُمسُها رُبعُها ثُلثُها ، نِصفُها" صحيح أبي داود بمعنى: أنك تدرك كل كلمة تنطق بها وأنت في صلاتك، فأنت حينما تقف بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ وتقول: "الله أكبر" فهو أكبر من نفسك التي بين جنبيك، وأكبر من مالك، وأكبر من وظيفتك، وأكبر من مصالحك الشخصية وأكبر من كل شيء، فأنت حينما تستحضر هذا المعنى، معنى التكبير لله عَزَّ وَجَلَّ، فأنت قد دخلت أول مرحلة من مراحل الخشوع في الصلاة.

ثم بعد ذلك: «﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَمِدَني عَبْدي، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أثنى عليَّ عبدي، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ مجَّدني عبدي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»[صحيح مسلم]، فحينما يستحضر المسلم معاني الفاتحة (فاتحة الكتاب) وهو بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ لا يقرأها بتكاسلٍ ورتابة، وإنما يقرأها بتأمل وتدبر وخشوع لله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، فإذا تأملت واستحضرت معاني الفاتحة وأنت بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ في الصلاة فهذه هي المرحلة الثانية من مراحل الخشوع في الصلاة وأنت بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ.

وكان الخشوع في الصلاة من دأب الصحابة أجمعين، من دأب الرسول -ﷺ-، فكان خشوع النبي في الصلاة يبدأ من قبل الصلاة، حينما يسمع المؤذن ينادي للصلاة، كانت أُمُّنا عائشة تقول: كان يكلمنا ونكلمه، وكان في خدمة أهله، حتى إذا أتت الصلاة فكأنه لا يعرفُنا ولا نعرفُه. فخشوع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يبدأ من الأذان من قبل الدخول في الصلاة.

فالمسلم يحرص على أن يؤدي الصلاة بأركانها وشروطها وواجباتها، وأن يؤدي الصلاة أيضًا بروحها، وروح الصلاة هو الخشوع؛ لأن الصلاة بلا خشوع تشبه الجسدَ بلا روح، فلو أن هناك جسدًا بلا روح

فلا قيمة له، فكذلك الصلاة إذا أديتها بأركانها وشروطها ومستحباتها وليس فيها خشوع فلا أثر لها، فينبغي على المسلم أن يؤديها بأركانها وشروطها وكذلك بروحها.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿3﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لما قَبلَها: قال الزمخشري: لَمَّا وصَف اللهُ سُبحانَه وتعالى المؤمِنينَ بالخُشوعِ في الصَّلاةِ؛ أتبَعَه الوَصفَ بالإعراضِ عن اللَّغوِ؛ ليجمَعَ لهم الفِعلَ والتَّركَ الشَّاقَّينِ على الأنفُسِ، اللذينِ هما قاعِدتا بناءِ التَّكليفِ.

قال ابن عاشور: وأيضًا عقَّب ذِكْرَ الخُشوعِ بذِكْرِ الإعراضِ عنِ اللَّغوِ؛ لأنَّ الصَّلاةَ في الأصْلِ الدُّعاءُ، وهو مِن الأقوالِ الصَّالحةِ؛ فكان اللَّغوُ ممَّا يَخطُرُ بالبالِ عندَ ذِكْرِ الصَّلاةِ بجامِعِ الضِّدِّيَّةِ، فكان الإعراضُ عن اللَّغوِ بمَعنَيي الإعراضِ (إعراضِ السَّمْعِ عن اللَّغْوِ، وإعراضِ الألْسِنَةِ عنه) ممَّا تَقْتَضيه الصَّلاةُ والخُشوعُ؛ لأنَّ مَن اعتادَ القولَ الصَّالِحَ تجنَّبَ القولَ الباطِلَ، ومَن اعتادَ الخُشوعَ للهِ تجنَّبَ قولَ الزُّورِ.

قال البقاعي: وأيضًا لَمَّا كان كلٌّ مِن الصَّلاةِ والخُشوعِ صادًّا عن اللَّغوِ؛ أتبَعَه قَولَه

(وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) أي: ومِن صِفاتِهم أنَّهم معرِضونَ عن الباطِلِ وجميعِ ما يَكرَهُه اللهُ؛ كالمعاصي وما لا فائِدةَ ولا خَيرَ فيه؛ تَنزيهًا لأنفُسِهم عنه، وانشِغالًا منهم بما يَنفَعُ مِن الحَقِّ والخَيرِ. موسوعة التفسير

قال ابن الجوزي: (وفي المرادِ باللَّغوِ ها هنا خمسةُ أقوالٍ: أحدُها: الشِّركُ. رواه أبو صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ. والثاني: الباطِلُ. رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عبَّاسٍ. والثالثُ: المعاصي. قاله الحَسَنُ. والرابعُ: الكَذِبُ. قاله السُّدِّيُّ. والخامسُ: الشَّتمُ والأذى الذي كانوا يَسمَعونَه مِن الكُفَّارِ. قاله مقاتِلٌ. قال الزَّجَّاج: واللَّغوُ: كُلُّ لَعِبٍ ولَهوٍ، وكلُّ مَعصيةٍ فهي مُطَّرَحةٌ مُلغاةٌ، فالمعنى: شَغَلَهم الجِدُّ فيما أمَرَهم اللهُ به عن اللَّغوِ).

واللَّغوُ: كلُّ كلامٍ باطِلٍ لا فائِدَةَ فيه، وما أكثَرَ اللَّغو في حديثِ الناس! خُصُوصًا وقد سهَّلَت وسائلُ التواصُل والإعلامِ الحديثةُ الحديثَ بلا قيود. فكثُرَ اللَّغو، وسهُلَ نشرُه واشتِهارُه، مما يجعلُ الآثامَ المحصُورةَ منشُورةً، والخطايا التي كانت تحُدُّها جُدرانُ المجالِس، أصبحَ سقفُها الفضاءُ بكل أبعَادِه، مما يُضاعِفُ الإثمَ، ويُعظِمُ الوِزرَ.

ما من يوم يصبح فيه الإنسان إلا والأعضاء كلها تكفِّر اللسان، قال-ﷺ-:"إذا أصبح ابنُ آدمَ فإنَّ الأعضاءَ كلَّها تُكفِّرُ اللِّسانَ فتقولُ اتَّقِ اللَّهَ فينا فإنَّما نحنُ بِك فإن استقمتَ استقمنا وإن اعوججتَ اعوججنا" صحيح الترمذي

"تكفِّرُ اللِّسانَ"، أي: يَخضَعون ويتَذلَّلون له، أو: تُنزِّلُ الأعضاءُ اللسانَ مَنزِلةَ الكافرِ بالنِّعمِ، إنَّنا مَجزِيُّون بالثَّوابِ أو العِقابِ بما تقولُه مِن كلامٍ، "فإنِ استقمتَ"، أي: كنتَ مستقيمًا؛ بقلَّةِ الكلامِ ونطَقتَ بالكلامِ الطَّيِّبِ، والابتعادِ عمَّا فيه إثمٌ؛ مِن غيبةٍ ونميمةٍ وكذِبٍ، وانشغَلْتَ بذِكرِ اللهِ، "استقَمنا"،

أي: تَبِعناك في تلك الفضائلِ والأجْرِ، "وإن اعوجَجْتَ"، أي: كنتَ مائلًا مخالِفًا للطَّريقِ المستقيمِ والهُدى "اعوجَجْنا"، أي: مِلْنا معك، وكنَّا بذلك مخالِفين لِما فيه الهُدى والصَّلاحُ؛ وذلك لأنَّ اللِّسانَ تَرجُمانُ القلبِ، وهو المظهِرُ لمكنونِ النَّفسِ؛ مِن صلاحٍ أو فَسادٍ، فبما يَنطِقُ اللِّسانُ يُجازَى الإنسانُ. الدرر السنية

وهذا صِدِّيق الأمة الأكبر، الصِّدِّيق أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان يُمسك لسانه بيده ويقول: (هذا أوردني الموارد) أي: أوردني المهالك. فرد عليه عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: (هوِّن على نفسك يا خليفة رسول الله) فقال: (هذا أوردني الموارد). فإذا كان هذا حال صِدِّيق الأمة، إذا كانت هذه الحالة العظيمة هي حالة صِدِّيق الأمة فما بالنا نحن أيُّها الأحبة؟

والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حينما قال له معاذ: "وإنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: ثَكِلَتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهَل يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخرِهِم إلَّا حَصائدُ ألسنتِهِم"[صحيح الترمذي].

الزواج يكون بكلمة والطلاق بكلمة والإسلام بكلمة والكفر بكلمة؛ إذًا الكلمة في الإسلام لها خطرها العظيم؛ ولذلك لما كان أصحاب النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يسألون النبي عن النجاة، الصحابي الجليل عقبة بن عامر –رضي الله عنه– قال: "قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما النَّجاةُ؟ قال: أمسِكْ عليْكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ" [صحيح الترمذي]، فهنا أرشد النبي –ﷺ– هذا الصحابي الجليل إلى أن يمسك عليه لسانه، وأخبره أن الإمساك عن كثرة الكلام هو من النجاة التي ينجو بها الإنسان في دنياه وفي أخراه.

ولذا قال الشاعر:

احـفـظ لـسـانـك أيـهـا إنـسـان   لا يـلـدغـنـك إنــــه ثـعـبـان
كم في المقابر من صَريع لسانه   كـانـت تـهـاب لـسـانـه الـشـجـعــان

وهذا الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول:

إذَا شِئْـتَ أَن تَـحْيَـا وديـنـك سـالم   وحـظـك مـوفُـورٌ وعِـرْضُـكَ صَـيِّـنُ
لِسَـانـكَ، لا تـذكـر بـه عـورة امـرئ   فـعـنـدك عَـوْرَاتٌ ولِـلـنَّـاس أَلْـسُـنُ
وعَيْـنَـاكَ إنْ أَبْـدَتِ إلـيـك مـسَـاوئًـا   فصُنْهـا وقـل: يـا عَيْنُ للناس أعيُنُ
وعَاشِرْ بمَعْرُوفٍ وجَانِبْ مَن اعتَدَى   وفـارِقْ ولـكـنْ بـالـتي هــي أحْـسَـنُ

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وهذا معنى قول الله جلَّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

وقد جاء تعظيمُ إثمِ الكذِبِ الذي يشتهِرُ في الناسِ وتغليظُه، وفي الحديث الذي رواه البخاري قال النبيَّ –ﷺ–: "إذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، ورَجُلٌ قَائِمٌ، بيَدِهِ كَلُّوبٌ مِن حَدِيدٍ إنَّه يُدْخِلُ ذلكَ الكَلُّوبَ في شِدْقِهِ

حتَّى يَبْلُغَ قَفاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذلكَ، ويَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هذا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ" وفي رواية: "أن النبيَّ -ﷺ-رأَى رجُلًا يُشرشِرُ شِدْقه، فأُخبِرَ أنه الكذَّابُ يكذِبُ الكِذبَة تُحمَلُ عنه حتى تبلُغ الآفاق".

المفلحون أفلحوا "لأنَّهم لا يُمْضون أوقاتَهم الثَّمينةَ إلَّا فيما فيه فائدةٌ، وإذا كان مِن وصفِهم الإعراضُ عن اللَّغوِ -وهو ما لا فائِدةَ فيه- فإعراضُهم عن المحرَّمِ وما فيه مضرَّةٌ مِن بابِ أولى وأحرى، وإذا ملَكَ العبدُ لسانَه وخزَنَه -إلَّا في الخيرِ- كان مالكًا لأمرِه؛ فالمؤمنون مِن صفاتِهم الحميدةِ كَفُّ ألسنتِهم عن اللَّغوِ والمحرَّماتِ". الدرر السنية

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ ﴿4﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لما قَبلَها: قال ابن عاشور: لما ذكَر الصَّلاةَ عَقَّب بذكرِ الزَّكاةِ؛ لكثرةِ التَّآخي بيْنَهما في آياتِ القرآنِ

(وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) أي: ومِن صِفاتِهم أنَّهم لزَكاةِ أموالِهم مُؤَدُّونَ. موسوعة التفسير

ذكرَ الله مِن صِفات المفلِحين: أداء الصلاة والزكاة، وهما القرينتَان في دينِ الله، قال الله – عزَّ وجل -: (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) [البينة: 5]. وفي الحديث: "بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاة..".

فالزكاة فريضة أوجبها الله عَزَّ وَجَلَّ على العباد، فهناك زكاة المال وزكاة الزروع والثمار، وهناك زكاة الركاز والمعادن، وهناك زكاة الإبل والغنم، وإلى غيرها من أنواع الزكوات، فالمسلم يحرص على أن يؤدي أيضًا فريضة من فرائض الله عَزَّ وَجَلَّ كالصلاة وكالصوم وكالحج، ألا وهي فريضة الزكاة.

والزكاة طُهرة لأموالنا، وهي أيضًا إثبات دليل إيماننا بالله عَزَّ وَجَلَّ، النبي -ﷺ-يقول: «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلَاةَ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ» [صحيح البخاري] وهي ركن من أركان الإسلام. وكان النبي -ﷺ- يرسل معاذًا إلى اليمن، يقول: « ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ » – ادعهم أول ما تدعوهم إلى التوحيد، إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله – «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[متفق عليه].

وقال قبل ذلك العلماء الراسخون في العلم: والله لو أخرجت الأمة الإسلامية، أغنياء الأمة لو أخرجوا زكاة أموالهم كما أراد الله، ما وجدنا في البيوت عاطلًا، وما وجدت في الطرقات سائلًا.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ ﴿5﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لما قبلَها: قال البقاعي: لَمَّا أشار إلى أنَّ بَذْلَ المالِ على وجهِه طُهرةٌ، وأنَّ حبسَه عن ذلك تَلَفٌ؛ أتبعه الإيماءَ إلى أنَّ بذْلَ الفرْجِ في غيرِ وَجهِه نجاسةٌ، وحِفظَه طُهرةٌ، فقال: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، وذِكْرُ الشَّهوةِ بعدَ اللَّغوِ الدَّاعي إليها، وبذْلِ المالِ الذي هو مِن أعظَمِ أسبابِها- عظيمُ المناسَبةِ

(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) أي: ومِن صِفاتِهم أنَّهم صائِنونَ لفُروجِهم مِن الحَرامِ، فلا يَقعونَ فيما نهاهم اللهُ عنه مِنَ الفواحِشِ. موسوعة التفسير

قال البقاعي: أي: في الجِماعِ وما داناه بالظَّاهِرِ والباطِنِ، فهم دائمًا لا يُتبِعونَها شهوتَها، بل هم قائِمونَ عليها يُذِلُّونَها ويَضبِطونَها.

﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ ﴿6﴾

(إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ) أي: هُم يَحفَظونَ فُروجَهم إلَّا مِن زوجاتِهم أو مِن إمائِهم اللَّاتي يَملِكونَهنَّ؛ فإنَّهم لا يُلامُونَ على وَطْئِهنَّ على الوَجهِ المشروعِ. موسوعة التفسير

من أجل هذا حرَّم الإسلام العادة السِّريَّة، وحرَّم الإسلام كل أنواع وكل صور الزواج الباطلة؛ فنكاح المتعة حرام، والنكاح الذي لا يتوفر فيه موافقة ولي الزوجة حرام قال-ﷺ-: «لا نكاحَ إلا بوليٍّ، وشاهِدَيْ عَدْلٍ» [صحيح الجامع]، وقال-ﷺ-: «أيما امرأةٍ نُكحتْ بغيرِ إذنِ وليِّها؛ فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ، فنكاحُها باطلٌ» [تخريج مشكاة المصابيح].

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ﴿7﴾

(فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ) أي: فمَنِ التَمَس التمَتُّعَ بفَرجِه فيما سِوى زَوجتِه وأمَتِه، فأولئك هم المعتَدونَ، المتعَدُّونَ حُدودَ اللهِ، المجاوِزونَ ما أحلَّه لهم إلى ما حرَّمَه عليهم. موسوعة التفسير

قال ابن القيم: عَلَّقَ سُبحانَه فلاحَ العبدِ على حِفْظِ فرْجِه مِن الزِّنا؛ فلا سبيلَ إلى الفلاحِ بدونِه، فقال: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إلى قولِه سبحانَه: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وهذا يتضمَّنُ ثلاثةَ أمورٍ: أنَّ مَن لم يحفَظْ فرْجَه لم يكُنْ مِن المفلحينَ، وأنَّه مِن الملومينَ، ومِن العادينَ؛ ففاته الفلاحُ، واستحقَّ اسمَ العُدوانِ، ووقعَ في اللَّومِ؛ فمقاساةُ ألَمِ الشَّهوةِ ومعاناتُها أيسَرُ مِن بعضِ ذلك.

ذكرَ اللهُ مِن صِفاتِ المفلِحين: حِفظَ اللسان وحِفظَ الفَرْج، وهما القَرينان.

روى البخاريُّ عن سهلِ بن سعدٍ -رضي الله عنه-، أن رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "مَن يضمَن لِي ما بين لَحيَيْه وما بين رِجلَيْه أضمَن له الجنة".

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ ﴿8﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لما قبلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان حِفظُ الفُروجِ مِن الأماناتِ العظيمةِ؛ أتبَعَه عمومَها، فقال

(وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) أي: ومِن صِفاتِهم أنَّهم لِمَا ائتمَنَهم اللهُ والنَّاسُ عليه، ولِعُهودِهم مع اللهِ وعبادِه مُراعونَ، قائمونَ بحِفظِها، والوَفاءِ بها، فلا يَخونونَ الأماناتِ، ولا يَنقُضونَ العُهودَ. موسوعة التفسير

مِن صِفاتِ المفلِحين: حِفظَ الأمانة، ورِعايةَ العهُود والعقُود، فليسُوا كالمنافِقين الذين إذا عاهَدَ أحدُهم غدَر، وإذا خاصَمَ فجَر، وإذا حدَّث كذَب، وإذا وعَدَ أخلَفَ، وإذا اؤتُمِنَ خانَ.

قال السعدي: هذا عامٌّ في جميعِ الأماناتِ التي هي حقٌّ لله، والتي هي حقٌّ للعبادِ؛ فجميعُ ما أوجبه اللهُ على عبدِه أمانةٌ، على العبدِ حِفظُها بالقيامِ التَّامِّ بها، وكذلك يدخُلُ في ذلك أماناتُ الآدميّين؛ كأماناتِ الأموالِ والأسرارِ ونحوِهما، فعلى العبدِ مُراعاةُ الأمْرينِ، وأداءُ الأمانتينِ، وكذلك العهدُ يشمَلُ العهدَ الذي بينهم وبينَ رَبِّهم، والذي بينَهم وبينَ العبادِ، وهي الالتِزاماتُ والعُقودُ التي يَعقِدُها العبدُ؛ فعليه مراعاتُها، والوفاءُ بها، ويَحرُمُ عليه التَّفريطُ فيها، وإهمالُها.

الأمانةُ خَصلةٌ سامية، وخَلةٌ راقية، خُلُقٌ كريم، وسُلُوكٌ قَويم، دعا إليها الدين.

الأمانةُ سبيلُ الفلاح، وصفَ اللهُ بها عِبادَهُ المفلحين وجَعلها من صفاتِهِمُ الموصلَةِ بِهِم إلى أعالي جَنَّاتِه.

الأمانةُ صفةُ الأنبياءِ والمرسلين، هي شِعَارُهُم ودِثَارُهُم؛ قال كُلٌّ مِنهُم لِقَوْمِهِ: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) [الشعراء: 107]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُلقب قبل البعثة بالصادق الأمين، فالأمانة دليل الإيمان، قال -ﷺ-: "لا إيمانَ لِمَن لا أمانَةَ له، ولا دِينَ لِمن لا عهدَ له "صحيح الترغيب.

الأمانةُ شاملةٌ لكلِّ ما يَحمِلُهُ المسلمُ من أُمُورِ الدين والدُّنيا:

فالفطرةُ التي فَطَرَ اللهُ عليها الخَلْقَ -وهي التوحيدُ- أمانةٌ عُظمى، ووديعَةٌ كُبرى، أَوْدَعَهَا اللهُ الخَلائِقِ، وأَخَذَ العَهْدَ عَلَيْهِمْ بها، وأَشْهَدَهُم عليها: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [الأعراف:172].

⇦والمؤمنونُ يَرْعَوْنَ تِلْكَ الأَمَانَةَ الكُبرى؛ فلا يَدَعُوْنَ فِطْرَتَهُمْ تَنْحَرِفُ عَنِ استِقَامَتِهَا، ويحمُونَ حِمَى التوحيدِ من كُلِّ وَسِيلَةٍ من وسائلِ الشرك.

والدعوةُ للخيرِ والأمرُ به، وإنكارُ المنكرِ والتَصَدِّي لَه أمانةٌ في عُنُقِ كُلِّ مسلمٍ حَسَبَ طَاقَتِهِ واستطاعَتِه، ولا يَسْقُطُ التكليفُ بهذه الأمانةِ مهما كانَ المسلمُ عاجزاً ضعيفاً؛ إذ عليه أَدَاؤُها بالقلبِ، وذلكَ أضعفُ الإيمان.

والجوارحُ أمانةٌ أَنْعَمَ اللهُ بها عَلينا، وأسداها إلينا، واستودعنا إيها؛ لِنُسَخِّرَهَا في طاعَتِه، ونَسْتَخْدِمَهَا في مَرْضَاتِه، ونَسْتَعْمِلَهَا للجهادِ في سبيلِه؛ فمن استقوى بها على معصية، أو بَخِلَ بها عن طاعة، فقدْ خانَ تِلْكُمُ الأمانة.

❍والمجالسُ التي يُشَارِكُ فيها المرْءُ أمانةٌ، تُصَانُ حُرْمَتُهَا، فلا تُفشى أسرارُها، ولا تُسْرَدُ أخبارُها الخاصةُ إلا بإِذْنِ أَهْلِها، وفي سُنَنِ أبي داودَ والترمذي عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِالله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: "إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ".

وفي المسندِ عن أَبِي الدَّرْدَاءِ مرفوعاً: "مَنْ سَمِعَ مِنْ رَجُلٍ حَدِيثًا لَا يَشْتَهِي أَنْ يُذْكَرَ عَنْهُ فَهُوَ أَمَانَةٌ وَإِنْ لَمْ يَسْتَكْتِمْهُ".

❍وبيتُ الزَّوْجِيَّةِ أحوالٌ وأسرار، حُرْمَةٌ وأمانة، تُكْتَمُ ولا تُكْشَفُ إلا لمصلحةٍ شرعيةٍ راجحةٍ في ظُروفٍ ضَيِّقة، وفي المسند عن أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ الله -ﷺ- وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ قُعُودٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ: "لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ، وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا" فَأَرَمَّ الْقَوْمُ -أي سَكَتُوا- فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ الله إِنَّهُنَّ لَيَقُلْنَ، وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ، قَالَ: "فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقٍ فَغَشِيَهَا، وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ".

وفي صحيحِ مسلمٍ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: "إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَةِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ -أي: من أعظمِ خيانةِ الأمانة- الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا".

❍ومن أداءِ الأمانةِ الأُسَرية: القيامُ بالواجباتِ على أكملِ وَجْه، وتَطْهيرُ البيتِ من المنكرات، وإلزامُ أهلِهِ بالفرائضِ والواجبات، وحَثُّهُم على الفضائلِ والمستحبات.

❍وتَتَفاوَتُ خِيانَةُ الواجباتِ إِثْماً ونُكْراً، وأَشَدُّهَا شَناعَةً ما أَصَابَ الدِّيْنَ، وأَضَرَّ جُمْهُورَ المسلمين، فَكَمْ مِنْ مَسؤُولٍ ضَيَّعَ الأمانة، واسْتَغَلَّ مَنْصِبَهُ لِأَغْرَاضٍ شَخْصِيةٍ، وليسَ أعظمُ خِيانَةً ولا أسوأُ عاقبةً مِنْ رَجُلٍ تَوَلَّى أُمُورَ الناسِ، فَخَانَهَا وأَضَاعَهَا، في الصحيحين عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: "إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ".

كما قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) [النساء: 58].

وقال عزَّ وجلَّ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [الأنفال: 27].

وقال سُبحانَه: (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) [الإسراء: 34].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ ﴿9﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لما قبلَها: قال البقاعي: لَمَّا كانت الصَّلاةُ أجَلَّ ما عُهِدَ فيه مِن أمرِ الدِّينِ وآكَدَ، وهي مِن الأُمورِ الخَفيَّةِ التي وقَع الائتِمانُ عليها، لِما خفَّفَ اللهُ فيها على هذه الأمَّةِ بإيساعِ زمانِها ومكانِها؛ قال

(وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) أي: ومِن صِفاتِهم أنَّهم مُواظِبونَ على أداءِ صَلَواتِهم في أوقاتِها، بأركانِها وشُروطِها وواجِباتِها. موسوعة التفسير

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ ﴿10﴾

(أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ) أي: أولئك المؤمِنونَ الموصوفونَ بتلك الصِّفاتِ هم الوارِثون يَومَ القيامةِ مَنازِلَ أهلِ النَّارِ مِن الجَنَّة. موسوعة التفسير

عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((ما مِنكم مِن أحَدٍ إلَّا له مَنزِلانِ: مَنزِلٌ في الجنَّةِ، ومَنزِلٌ في النَّارِ، فإذا مات فدخَلَ النَّارَ، وَرِث أهلُ الجنَّةِ مَنزِلَه، فذلك قَولُه تعالى: أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ)) ابن ماجه.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿11﴾

(الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ) أي: أولئك المؤمِنونَ يَرِثونَ يومَ القيامةِ جَنَّاتِ الفِردَوسِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) [مريم: 63].

وقال سُبحانَه: (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [الزخرف: 72].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عنه، قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((فإذا سألتُمُ اللهَ فسَلُوه الفِردَوسَ؛ فإنَّه أوسَطُ الجنَّةِ، وأعلى الجنَّةِ، وفوقَه عَرشُ الرَّحمنِ، ومنه تفَجَّرُ أنهارُ الجنَّةِ)) رواه البخاري.

وعن أنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عنه: أنَّ أمَّ الرُّبَيِّعِ بِنتَ البراءِ -وهي أمُّ حارثةَ ابنِ سُراقةَ- أتَتِ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم، فقالت: ((يا نبيَّ اللهِ، ألَا تُحَدِّثُني عن حارثةَ -وكان قُتِلَ يومَ بَدرٍ؛ أصابَه سَهمٌ غَرْبٌ- فإن كان في الجنَّةِ صَبَرتُ، وإن كان غيرَ ذلك اجتهَدْتُ عليه في البُكاءِ؟ قال: يا أُمَّ حارِثةَ، إنَّها جِنانٌ في الجنَّةِ، وإنَّ ابنَك أصاب الفِردَوسَ الأعلى!!)) رواه البخاري.

(هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) أي: هم في تلك الجنَّاتِ ماكِثونَ لا يَخرُجونَ منها أبَدًا؛ فهم في خُلودٍ لا مَوتَ معه، ولذَّةٍ ونَعيمٍ لا انقِطاعَ له، ومُلكٍ عَظيمٍ لا زَوالَ عنه.

كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا) [الكهف: 107- 108].

الجَنَّةُ خَيرُ ما اجتَهَدَ له المجتَهِدونَ؛ ففيها مِنَ النَّعيمِ ما لا عَينٌ رأتْ، ولا أذُنٌ سَمِعَت، ولا خطَرَ على قَلبِ بَشَرٍ، وقد كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كثيرًا ما يُخْبِرُ عن الجَنَّةِ بما يُشوِّقُ النُّفوسَ إليها ويَشحَذُ الهِمَمَ لها، وليُشَمِّرَ لها الطَّالِبونَ، ويَرْغَبَ فيها الرَّاغِبونَ. الدرر السنية

قال ﷺ: "إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ. قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ قالَ: جُشاءٌ ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ" متفق عليه.

الجنة لواسعة جدا قال ﷺ:"إنَّ في الجَنَّةِ خَيْمَةً مِن لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ، عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا، في كُلِّ زاوِيَةٍ مِنْها أهْلٌ، ما يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عليهمُ المُؤْمِنُونَ، وجَنَّتانِ مِن فِضَّةٍ؛ آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وجَنَّتانِ مِن

كَذا؛ آنِيَتُهُما وما فِيهِما، وما بيْنَ القَوْمِ وبيْنَ أنْ يَنْظُرُوا إلى رَبِّهِمْ إلَّا رِداءُ الكِبْرِ علَى وجْهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ.
صحيح البخاري
قال ﷺ:"في الجنَّةِ شجرةٌ يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها" صحيح الترمذي
وفي روايةِ الصَّحيحينِ من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ: "يَسيرُ الرَّاكبُ الجَوادَ المضَمَّرَ السَّريعَ مائةَ عامٍ، لا يقطَعُها".
قال ﷺ:"أنَّ ما بَيْنَ مِصراعَيِ الجنَّةِ مسيرةُ أربعينَ عامًا" صحيح ابن حبان
قال ﷺ:" لبِنةٌ من فضَّةٍ ولبنةٌ من ذهَبٍ، وملاطُها المسكُ الأذفرُ، وحصباؤُها اللُّؤلؤُ والياقوتُ، وتُربتُها الزَّعفرانُ مَن دخلَها ينعَمُ ولا يبأسُ، ويخلدُ ولا يموتُ، لا تبلَى ثيابُهُم، ولا يفنى شبابُهُم" صحيح الترمذي
سبحان الله ما أعجب هذا البناء وأحسنه، لبنة من فضة ولبنة من ذهب والطين الذي يوضع بينهما من المسك الخالص، والحصى على الأرض الياقوت واللؤلؤ، قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر".
قولُ اللهِ تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... الآياتِ، قال ابن القيم: جمَعت هذه الآياتُ أصولَ التَّقوى الشَّرعيَّة؛ لأنَّها أتت على أعسَرِ ما تُراضُ له النفْسُ مِن أعمالِ القلبِ والجوارحِ، فجاءت بوصفِ الإيمانِ وهو أساسُ التقوى، ثمَّ ذكَرَت الصَّلاةَ وهي عِمادُ التقوى، والتي تنهَى عن الفحشاءِ والمنكَرِ؛ لِما فيها مِن تكرُّرِ استحضارِ الوقوفِ بينَ يدي الله ومناجاتِه، وذكَرَت الخشوعَ وهو تمامُ الطاعةِ؛ لأنَّ المرءَ قد يعمَلُ الطاعةَ للخروجِ مِن عهدةِ التكليفِ غيرَ مُستحضِرٍ خُشوعًا لربِّه الذي كلَّفه بالأعمالِ الصالحةِ، فإذا تخلَّق المؤمنُ بالخشوعِ اشتَدَّت مراقبتُه ربَّه، فامتثل واجتنَب، فهذان مِن أعمالِ القلبِ.
وذكَرَت الإعراضَ عن اللَّغوِ، واللَّغوُ مِن سوءِ الخُلقِ المتعلِّقِ باللسانِ الذي يعسُرُ إمساكُه، فإذا تخلَّق المؤمنُ بالإعراضِ عن اللَّغوِ فقد سهُلَ عليه ما هو دونَ ذلك، وفي الإعراضِ عن اللَّغوِ خُلقٌ للسَّمعِ أيضًا. وذكَرَت إعطاءَ الصَّدَقاتِ، وفي ذلك مقاومةُ داءِ الشُّحِّ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن: 16]. وذكَرَت حِفظَ الفَرجِ، وفي ذلك خُلقُ مُقاومةِ اطِّرادِ الشَّهوةِ الغريزيَّةِ، بتعديلِها وضبطِها، والترفُّعِ بها عن حضيضِ مُشابهةِ البهائمِ. وذكَرَت أداءَ الأمانةِ، وهو مظهَرٌ للإنصافِ، وإعطاءِ ذي الحقِّ حَقَّه، ومغالبةِ شَهوةِ النفْسِ لأمتعةِ الدُّنيا. وذكَرَت الوفاءَ بالعهدِ، وهو مظهرٌ لخُلقِ العدلِ في المعاملةِ، والإنصافِ من النفْسِ بأن يَبذُلَ لأخيه ما يحِبُّ لنفسِه من الوفاءِ. وذكَرَت المحافظةَ على الصَّلواتِ، وهو التخلُّقُ بالعنايةِ بالوقوفِ عند الحدودِ والمواقيتِ. وأنت إذا تأمَّلتَ هذه الخِصالَ وجدْتَها ترجِعُ إلى حِفظِ ما مِن شأنِ النُّفوسِ إهمالُه؛ مثلُ: الصَّلاةِ، والخُشوعِ، وترَكِ اللَّغوِ، وحِفظِ الفرجِ، وحفظِ العهدِ؛ وإلى بَذْلِ ما من شأنِ النفوسِ إمساكُه؛ مثلُ: الصَّدقةِ، وأداءِ الأمانةِ. فكان في مجموعِ ذلك إعمالُ ملَكتَيِ الفعلِ والتَّركِ في المهِمَّاتِ، وهما منبَعُ الأخلاقِ الفاضلةِ لمن تتبَّعَها.